# الفصل الأول

# تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام

١- أصل قبيلة الخزرج ونسبها

٢- بطون قبيلة الخزرج ومنازلهم.

٣- تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام.

## ١ - أصل قبيلة الخزرج ونسبها

يُقسم النسابون العرب إلى قسمين؛ القسم الأول: العرب البائدة، وهم الذين بادوا وانقطعت أخبارهم؛ كعاد وثمود وطسم، والقسم الثاني: العرب الباقية، وينقسمون إلى فرعين: العرب العاربة والعرب المستعربة. فأما العرب العاربة فهم شعب قحطان، وجميع قبائل اليمن تنتهي إليه، ومن أشهر قبائلهم جُرْهُم ويَعرُب، ومن يَعرُب تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين، هما: كهلان وحِميَر، ومن أشهر بطون كهلان قبائل الأزد اليمنية التي انحدر منها الأوس والخزرج في يثرب، والغساسنة في الشام، وأزد عُمَان، وأزد شنوءة، وغيرهم(١).

ولقد قامت في اليمن حضارة عظيمة لعدة أسباب، كان أهمها: تربتها البركانية الخصبة، واعتدال حرارتها؛ لارتفاعها عن سطح البحر، وموقعها الجيد؛ حيث يحدها البحر الأحمر غربًا، والمحيط الهندي جنوبًا، بالإضافة لسهولة اتصالها بالساحل الإفريقي الشرقي، فقامت باليمن حضارات كبرى، كان أهمها مَعِين، ونشأت بين حضرموت ونجران، وكانت عاصمتها قِرْناو(٢)، ثم قامت حضارة سبأ - التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة سبأ - ببناء أهم مشاريع الري بها، وهو سد مأرب بين مرتفعات اليمن؛ ليحول دون إهدار مياه السيول للاستفادة بها في الزراعة، ثم كانت حضارة حمير وهي

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، ج١، ص ١٣١، ١٣٣؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، ج٢، ص ٣٢٩، ٣٣٠؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٥، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، ج١، ص ١٣.

(٢) عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ص ٩١.

آخر حضارات اليمن، ودخلت اليمن تحت سيطرة الأحباش ثم الفرس، وجاء الإسلام وهي تحت السيطرة الفارسية(١).

ويمكننا القول إن اليمن كانت منطقة حضارية مزدهرة؛ وذلك لتقدم الزراعة، وازدهار التجارة بها؛ حيث كانت تُرسل رحلاتها التجارية إلى بلاد بونت - الصومال حاليًا - وإلى مصر لبيع تجارتها، وكانت تحتوي على المُر والبخور وغيرها من منتجات المناطق الحارة، كما اشتهرت اليمن بالكثير من الصناعات التي تصدر للخارج؛ كالسيوف والملابس اليمنية(٢).

كان للأزد عدة أولاد، منهم: **مازن** ونصر وعمرو وغيرهم، ومن مازن بن الأزد: عمرو، وعَدِيّ، وكعب، و**ثعلبة**، فأنجب ثعلبة بن مازن: عامرًا، و**امرأ القيس**، وكُرْزًا، وأنجب امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد: **حارثة الغِطْرِيف**(٣)، فولد حارثة الغطريف: التوأم؛ عدي، و**عامر ماء السماء** (وسُمِّي بذلك؛ لأن قومه كانوا إذا قَحَطُوا بَثَّ فيهم ماله، فكان يقوم لهم مقام الغيث) (٤)، فولد عامر ماء السماء: عمران الكاهن الذي لم يُعْقِب، **وعمرو مُزَيْقِيَاء** (لُقِّبَ عمرو بذلك لأنه كان من ملوك اليمن، وكان يلبس كل يوم حُلَّتَيْن ثم يمزقهما حتى لايلبسهم أحد غيره)(٥). وأنجب عمرو مزيقياء: **ثعلبة العَنْقَاء** (لُقِّبَ به لطول رقبته)، وأنجب ثعلبة: **حارثة**، ومنه ينحدر الأخوان الأوس و**الخزرج** بن

(١) نفسه، ص ٦١، ٦٤؛ حسين الشيخ: العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص ١٠١، ١٠٢.

(٢) عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٤١، ٤٢.

(٣) **الغِطْرِيف:** بغين معجمة مكسورة، فطاء مهملة ساكنة، فراء مكسورة، وفي آخره فاء، وهو في اللغة السيد الشريف، أو فرخ البازي؛ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، القاهرة، (ب. ت)، ج٢٤، ص ٢١٨.

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لجنة حماية التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٥٢.

(٥) نفسه.

حارثة بن ثعلبة العَنْقَاء بن عمرو مُزَيْقِيَاء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد[١].

وأمهما قَيْلَة بنت الأَرْقَم بن عمرو بن جَفْنة بن عمرو مُزَيْقيَاء، في قول ابن حزم الأندلسي في الجمهرة[٢]، وابن خلدون في العِبَر[٣]؛ وقَيْلَة بنت كاهل بن عُذْرَة بن سعد بن هُذَيْم، من قُضَاعَة من بني عُذرة في رأي ابن الكلبي في نسب معد واليمن الكبير[٤]، وعرفت الأوس والخزرج بابني قَيْلَة، ولابد أن يكون لها شهرة في الجاهلية حملتهم على الانتساب إليها[٥].

وذُكر أنهما لم يُؤديا إتاوة قط في الجاهلية لأحد من الملوك[٦]، وقد نُسِبَت الأوس والخزرج إلى أمهما في الحديث النبوي الشريف؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله ﷺ: "إن الله أمدني بأشد الناس ألسنًا وأذرعًا، بابنيْ قَيْلَة: الأوس والخزرج"[٧]، وهذا النعمان بن بشير[٨] يمدح الأوس والخزرج وينسبهم إلى أمهما قائلًا:

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٦٣، ٣٦٤؛ ابن قتيبة: المعارف، سلسلة ذخائر العرب، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ١٠٨؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) ص ٣٣٢.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، ١٤٣١هـ = ٢٠٠١ م، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٤) ابن الكلبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٤.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ط٢، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ج ٤، ص ١٣٣.

(٦) نفسه، ج ١، ص ٣٧٤.

(٧) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٨) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خُلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي (ت ٦٤هـ)، من بني كعب بن الحارث بن الخزرج، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب. ت)، ج٦، ص ٢٤٠.

بَهَالِيــل[١] مــن أولادِ قَيْلَــةَ لم يَجِــدْ عَلـيهم خَلـيطٌ مـن مُخَالَطـةٍ عَتَبًـا[٢]

والخزرج في اللغة تعني: الريح الباردة، وقال بعض أهل اللغة: هي الريح الجنوبية خاصة، وقال بعضهم: الريح الشديدة [٣]، وقال الفراء: خزرج أي الجنوب[٤]، وبه سميت القبيلة الخرزج؛ لأن ريح الجنوب عندهم أنفع من ريح الشمال[٥].

ولقد امتازت قبيلة الخزرج بكثرة عددها، وبأنها بلغت من القوة والمنعة مبلغًا عظيمًا، وعندما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، سماهم هم والأوس بالأنصار، فلم يكن لهم هذا الاسم في الجاهلية؛ بل سماهم الله تعالى به في كتابه الكريم[٦].

ولقد تفرعت قبيلة الخزرج من جدها الخزرج بن حارثة، الذي أنجب عَمْرًا، والحارث، ويقال لهما: الخُرطومان[٧]، وأمهما: بنت عامر الغطريف الأزدي، وأخوهما لأمهما: الحارث بن معاوية الكندي، وفيه يقول حسان بن ثابت[٨]:

وإذا دَعَــوْتُ الحَــارِثَيْنِ أجــابني كِنْــدِيُّهم والحَــارِثُ بــن الخَــزْرَجِ

(١) **بَهَالِيل:** مفردها بُهْلُول، ورجل بُهْلُول أي رجل حيي كريم، أو السيد الجامع لكل خير؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٢٨، ص ١٣٠.

(٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٦٤؛ السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مؤسسة الفرقان، مكة، السعودية، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٢٥.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (ب. ت)، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٤) السمعاني: الأنساب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، ج٥، ص ١١٠.

(٥) الزبيدي: تاج العروس، ج٥، ص ٥٢٤.

(٦) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، طبعة السلطان عبد الحميد خان الثاني، ١٢١٣هـ = ١٧٩٨م،كتاب مناقب الأنصار، ج٥، ص ٣٠، ٣٢؛ مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم)، دار الجيل ودار الآفاق العربية، بيروت، (ب. ت)، ج ١، ص ٦٠.

(٧) ابن الكلبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٠.

(٨) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام بن عَمْرو بن زَيْد مَنَاةُ بن عَدِيّ بن عَمْرو بن مَالِك بن النَجَّار (ت ٥٤هـ)، من بني مغالة ثم من بني النجار، شاعر رسول الله ﷺ والمدافع عنه بشعره، عاش مائة وعشرين سنة، منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص ٨، ٩.

وولد أيضًا عَوْفًا، وجُشَم، وكَعْبًا، وأمهم: بنت عليّ بن قيس الغسَّاني، ومن هؤلاء الخمسة كانت قبيلة الخزرج، وتفرعت منها البطون المختلفة في القبيلة.

- **بنو عمرو بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب عمرو بن الخزرج: ثَعْلَبَة، وأُمُّه هند بنت امْرئ القَيْس بن كعب بن عمرو مُزَيْقيَاء، وأنجب ثعلبة بن عمرو: تَيْم الله بن ثَعْلَبَة، وهو النَجَّار، وسمي بهذا الاسم لأنه ضرب رجلًا بقَدُوم[١] فَنَجَرَهُ، أي قطعه[٢]، وقيل إنه اختتن بقَدُوم[٣]، وأُمُّه هي الصَّدُوفُ بنت مالك من حِمْيَر، ومن تيم الله النجار ونَعَامَة بنت الحارث بن الخزرج[٤]، تفرعت بطون كثيرة، كان أهمها: مازن بن النجار، ومنه: بنو مازن، ودينار بن النجار، ومنه: بنو دينار، وعدي بن النجار، ومن نسله: بنو مِلْحَان[٥]، وبنو عدي، ومالك بن النجار الذي تزوج كَبْشَة بنت الخزرج بن الحارث، ومن نسله بنو مَغَالَة، وبنو حُدَيْلَة (بنو معاوية)، وبنو مَبْذُول، وبنو غَنْم، وبنو الفُرَيْعَة، وهم رهط حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٦].

- **بنو الحارث بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب الحارث بن الخزرج: الخَزْرَج، وصخرًا، وهو لا يُعد من الأنصار؛ لأنه صار إلى الشام، وجَرْدَش الذي دخل في غسان، وعوفًا الذي تفرع من نسله بنو خُدَارَة، وبنو خُدْرة، ومنهم: أبو سعيد الخُدْري راوي الأحاديث الشهير، وأنجب جُشَم، وزَيْدًا - وهما التوأم - وكان سكنهم بالسُّنْح على ميل من المسجد النبوي، ونزل عليهم أبوبكر

---

(١) **القَدُوْم:** الحَدِيدة التي ينحت بها الخشب؛ إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ج٥، ص ٣٧٥.

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٩٠؛ ابن دريد: الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ =١٩٩١م، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٤٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٤، ص ١٨١.

(٤) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٠؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٥) **مِلْحَان:** من المُلْحة، أي البياض، ويقال كبش أملح، ابن دريد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥١.

(٦) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وظل يسكنها حتى توفي الرسول ﷺ، ومنهم: عبد الله بن رواحة، وهو عقبي، بَدْرِيّ، كان من شعراء الرسول ﷺ(١).

- **بنو كَعْب بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب كعب بن الخزرج: سَاعِدَة، وولد ساعدة: الخزرج، وأنجب الخزرج: طريفًا وعمرًا، ومن هذا الفرع بنو ساعدة(٢)، ولقد كان منهم بعض زعماء المدينة قبل الإسلام، مثل: سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، ولقد شهد العقبة، وكان من النقباء الاثني عشر، من بيت عريق معروف بالسؤدد، كانوا سادة كلهم(٣). وكان له أُطُم(٤) دُليم، وكان ابنه قيس بن سعد من سادات بني ساعدة، وكان بمنزلة صاحب الشرطة لرسول الله ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ كان يستعمله على الصدقة(٥)، وولي أخوه سعيد بن سعد اليمن لعليّ بن أبي طالب، ولسعيد هذا عقب بالأندلس، ذكره ابن حزم في الجمهرة(٦)، ومنهم أبو دُجانة الفارس، واسمه سِمَاك بن أوس بن خرشة، أشجع أنصاريّ في دهره، وهو الذي دافع عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد(٧).

- **بنو جُشَمَ بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب جُشَمُ بن الخزرج غَضْبًا(٨)، وتَزِيد، وأمهما: قَسَامَة بنت أفصى بن غَسَّان(٩)، أما غَضْب بن جشم فولد مالك بن غَضْب، ومنه خمسة أولاد، وهم: غَنْم وهو أبو بني

(١) نفسه، ج ١، ص ٤٠٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١١؛ ابن حزم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٣) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٤) **الأُطم:** بمعنى الحصن، أو القصر، أو الدور المسطحة السقوف، والجمع آطام، كأجمة وآجام؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣١، ص ٢٢٠.

(٥) ابن سعد الزهري: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م، ج٥، ص ٣٦٩ - ٣٧٣.

(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٧) ابن دريد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٨) **الغَضْب:** الأحمر الغليظ، أو الصخرة الخشنة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦١.

(٩) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٩.

الحَسْمِي، وقد ساروا مع غسان إلى الشام واستقروا بها، وكَعْبًا، وهو أبو بني الأَجْدَع وقد انقرضوا جميعًا، وربيعة وقد انقرضوا أيضًا. وولد مالك - أيضًا - عبد حارثة، وعامرًا؛ أما عبد حارثة فخرج من نسله حبيب وزريق، ومن حبيب: زيد مناة وعبد الله، وقيل: إن من نسل عبد الله هذا الملك الغساني أبو جُبَيْلَة، الذي ساعد مالك بن العجلان الخزرجي على التخلص من سيطرة اليهود على المدينة، وفيه نظر؛ إذ ليس في بطون الخزرج غساني[١].

وقد تفرع من غَضْب بن جشم بطون، أهمها: بنو زُرَيْق، وبنو سارِدة[٢]، وبنو بَيَاضة، ومنهم: زياد بن لبيد، الذي استعمله رسول الله ﷺ على حضرموت باليمن، وعمرو بن النعمان البياضي، وكان صاحب راية المسلمين يوم أحد[٣].

أما بنو تزيد بن جشم بن الخزرج، فمنهم بنو سَلِمَة - بكسر اللام[٤]-، وبطونها كثيرة[٥]، وبنو أُدَيّ، ومن بني أُدَيّ: معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو عقبي، شهد بدرًا والمشاهد كلها[٦].

- **بنو عوف بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب عَوْف بن الخَزْرَج قَطَن، فولد قطن السائب وعَقِبَه بعُمَان، ولم يكن منهم أحد بالمدينة، فليسوا من الأنصار[٧]، وأنجب أيضًا: عمرو بن عوف (وهو غير عمرو بن عوف من الأوس) الذي تزوج من نُعْم بنت مالك بن النجار، ومنه ثلاثة بطون، وهي:

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٢) **سارِدة:** مأخوذة من السَّرد، والسَّرد: ضَمُّك الشيء بعضه إلى بعض، نحو النَظم وما أشبهه؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٦١.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٢١.

(٤) ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٣٩.

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص ١٠٩.

(٦) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ١٦٤.

(٧) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٤؛ ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٣.

**١- بنو سالم:**

وكانت منازلهم بين قُبَاء والمدينة، وقد صلى رسول الله ﷺ الجمعة عندهم في طريقه من قباء إلى دار بني النجار في حادث الهجرة، ومنهم مالك بن العجلان، الذي سيطر على المدينة، وحَدَّ من نفوذ اليهود بها(١).

**٢- بنو غنم بن عمرو:**

ويُدْعَون بني قَوْقَل أو القواقلة(٢)، وسُمِّي قوقل؛ لأن الرجل كان إذا نزل المدينة قيل له: "قَوْقِلْ حيث شئت"، أي: انزل حيث شئت فإنك آمن(٣)، ومنهم: عبادة بن الصامت، شهد العقبة، وكان نقيبًا، وله نسل بالأندلس في قول ابن حزم(٤)، ومنهم أيضًا النعمان بن قوقل الذي أقسم على ربه أن يطأ بعرجته في الجنة، فاستشهد في أُحُد(٥).

**٣- بنو الحُبْلَى:**

وسُمِّي بذلك لعظم بطنه،أو بلفظ المرأة الحُبْلَى، ومنهم: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين(٦).

## ٢- بطون قبيلة الخزرج ومنازلها

يتكون التنظيم القبلي عادة من لَبِنَات متعددة، تتمايز فيما بينها من حيث الكِبَر والحجم ودرجة القربى، وتشكل العشيرة أو البطن، والتي يُعبَّر عنها عادة بمصطلح بني فُلان، وهي الخلية الأساسية والوحدة البنائية للمجتمع القبلي، ولقد كان شظف العيش في الصحراء وقسوة الحياة بها وقلة الموارد المادية من الأسباب التي جعلت وحدة قبلية صغيرة – كالعشيرة أو البطن – غير قادرة على العيش والبقاء وحيدة في عالم يحكمه منطق الغزو والقوة.

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٢) **القَوْقَلة:** التغلغل في الشيء والدخول فيه؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٣) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٤.

(٤) ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج٦، ص ٢٥٤.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٩؛ ابن دريد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٨.

لهذا فقد كان تجمع العشائر والبطون في قبائل ضرورة حياتية مطلقة، ولقد كانت هناك أهمية كبرى لقاعدة: الفرد للقبيلة والقبيلة للفرد، وساد مبدأ "انْصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا[١]"[٢]. وكان إذا نَبِهَ ذكر شخص عاد فخره إلى القبيلة بأسرها، وإذا نزل عار بالقبيلة أصاب كل شخص منها[٣].

وكان للنسب عند العرب شأن كبير، ولا يزال العربي يقيم له وزنًا، فعلى نسب المرء في البادية تقوم حقوق الإنسان، بل حياته في الغالب، فنسب الإنسان هو الذي يحميه، وهو الذي يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه، ويأخذ حق المظلوم منه[٤].

ولقد كان للمدينة وضع خاص في قلب شبه الجزيرة العربية؛ فقد كان تنافر سكان المدينة واختلاف أصولهم، وميلهم إلى حياة البداوة القائمة على الخصومة والتقاتل[٥]، أسبابًا أدت إلى صعوبة العيش داخل المدينة بين السكان؛ فقد بدأ النزاع للسيطرة على المدينة بين اليهود والأوس والخزرج، وبعد أن فرضت أسباب القوة سيطرة الأوس والخزرج على المدينة، قام النزاع وظلت الحروب بينهما لسنوات طويلة، بلغت مائة وعشرين سنة – في قول ابن إسحاق[٦] – حتى أدى ذلك إلى تفتت العشائر الخزرجية في المدينة، وإلى تقديم مصلحة العشيرة على سياسات القبيلة، وأغلب الظن أن هذه الحروب كان يثيرها بعض الأفراد الذين ليس لهم شأن كبير في مجتمع القبيلة، وأنها كانت تقوم لأسباب تافهة[٧].

---

(١) وقد وردت هنا بمعناها الحقيقي، لا بالمعنى التي وردت به في حديث رسول الله ﷺ بكف يد الظالم عن ظلمه.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمير فارس، منير البعلبكي، دار العلم، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، ص ١٨.

(٣) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بيروت، لبنان، (ب – ت)، ص ٢٠.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٤٦٦.

(٥) نفسه، ج ٤، ص ١٤٠؛ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط ٢٤، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٥.

(٧) جواد علي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٩.

وبسبب هذه الصراعات - التي لا تنتهي بين البطون والعشائر في المدينة - وجب إنشاء حصون للحفاظ على الأطفال والنساء، وتكون مخازن تجمع فيها الغلال والثمار، ومرجعًا لكنز الأموال والسلاح، وغير ذلك مما يغنم في الحروب، ومن بعض الأعراب الذين يهاجمون المدينة من خارجها، وسميت تلك الحصون باسم الآطام، وهي جمع أطم(١).

وقد جاء اليهود من الشام بفكرة بناء هذه الحصون، وقد بلغ عدد آطام اليهود بالمدينة تسعة وخمسين أطمًا، وكان هناك ثلاثة عشر أطمًا للعرب النازلين على اليهود قبل الأوس والخزرج(٢)، وقد تحارب الأوس والخزرج على الآطام، وصاروا يؤَرِّخُون بـ (عام الآطام)(٣).

وكان البطن يملك أطما أو آطامًا، وهذه الآطام كانت ملكًا خاصًّا بالأسر العريقة، وكان رئيس الأسرة صاحب السلطان في الأطم، كما كان يعد زعيمًا من زعماء البطون(٤)، وكان في يثرب بطون لم تكن تملك الآطام، فكانت تدخل تحت حماية البطون الكبيرة في آطامها، ويعتبرها البطن الكبير من مواليه، وكان البطن الصغير مضطرًّا إلى مساعدة البطن الكبير في حروبه؛ وإلا رُمِي بالعصيان والتمرد، وعلى الرغم من ذلك حافظت البطون الصغيرة على شخصيتها، ولم تسمح للبطون الكبيرة بالحد من حريتها(٥).

وكانت بعض البطون في الحروب الأخيرة تقف على الحياد، ولا تساعد القبيلة في حروبها؛ وكان ذلك لأسباب اقتصادية، أو ميلًا للدَّعة وكرهًا للحروب، التي كان يقتل فيها الكثيرون، وكانت تؤدي إلى ضعف البطون، ومن هؤلاء بنو الحُبْلَى الذين لم يشتركوا

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د - ت)، ص ١١٦.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٠٨.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ١٣٢.

(٤) إسرائيل ولفنسون، مرجع سابق، ص ١١٦، ١١٧.

(٥) نفسه، ص ١١٨؛ أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٢٦٥.

في يوم بُعاث؛ كما أنه كان من الممكن أن تتنازع عشائر البطن الواحد فيما بينها، فيحاول بعضها أن ينتزع ما في يد الآخر(١).

وإذا استعرضنا أهم هذه البطون التي أثرت في تاريخ قبيلة الخزرج، وكان لها دور بارز في الصراعات الجاهلية، أو في نصرة الإسلام فيما بعد، نجدها كالتالي:

## بطون بني النجار

وهم من ولد تيم الله النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة، الذي خرج من صلبه كثير من البطون؛ كان أهمها:

**بنو حُدَيْلَة(٢):**

ويدعون بني معاوية أيضًا(٣)، وهم من أبناء عمرو بن مالك بن تيم الله النجار، وقد نسبوا إلى أُمِّهم حُدَيْلَة بنت مالك بن زيد مناة(٤)، وسكنوا شمال البقيع(٥).

وقد ابتنى بنو حُدَيْلَة أطمين؛ أحدهما يسمى مِشْعَط(٦) أو مُسْعُط(٧)، كان في غربي مسجدهم الذي يقال له مسجد أُبيّ – نسبة إلى أُبيّ بن كعب – الذي كناه رسول الله ﷺ

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٦٦.

(٢) **بنو حُدَيْلَة:** بضم الحاء المهملة وبدال مهملة، وقيل أيضًا في اسمهم: بنو جُذَيْلَة بجيم وذال معجمتين، وقيل: خُذَيْلَة بخاء معجمة؛ ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، ص ٤٢؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص٣٧٨.

(٣) وهم غير بني معاوية بن مالك من قبيلة الأوس، نفسه، ج ١، ص ٣٧٩.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٤٢.

(٥) صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، ص٥١٥.

(٦) السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٨.

(٧) **مُسْعَط:** بضم أوله وسكون السين وفتح العين، أو بضم العين، وهو أطم بالمدينة، وقال عنه النبي ﷺ: "إن كان الوباء في شيء فهو في ظل مُسْعُط"، البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ج ٤، ص ١٢٢٦.

قائلًا: "ليهنئك العلم أبا المنذر"(١)، وكناه عمر بن الخطاب بأبي الطُفَيل، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: "أُبي سيد المسلمين"(٢).

**بنو مَغَالة:**

وهم من أبناء عمرو بن مالك بن تيم الله النجار، وأمهم: مَغَالة بنت فُهَيْرَة بن عامر بن بياضة من بني غَضْب بن جشم بن الخزرج، وإليها ينسبون(٣)، ومنهم المنذر بن حرام بن عمرو، وهو الذي تحاكمت إليه الأوس والخزرج في يوم سُمير، وهو جد حسان بن ثابت، شاعر الرسول، وكان لأبيه أطم يسمى فَارِع(٤)، بجوار المسجد النبوي(٥).

**بنو مَبْذول(٦):**

وهم من ولد مالك بن تيم الله النجار، وأُمُّهُم كَبْشَة بنت الخزرج بن الحارث، وابتنى بنو مبذول أطمًا يقال له الفَلَج، وأطمًا آخر كان في دار آل حُيَيّ بن أخطب، كان لبني مالك بن مبذول، وأطمًا كان في دار سرجس مولى الزبير، التي تقع في بقيع الزبير، وكان لآل عبيد بن النُّعْمان(٧)، ويقول السمهودي: "إن بقيع الزبير كان شرقي الدور التي تلي قبلة المسجد النبوي بجوار بني زُرَيْق وبني غنم"، ونستنتج من هذا أن دورهم كانت جنوب المسجد النبوي، وكان منهم الحارث بن الصمَّة بن عمرو بن عتيك، شهد أحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا(٨).

---

(١) ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ١٦.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٩١.

(٤) **فَارِع:** على وزن فاعل، الفارع: المرتفع العالي، وهو أطم بالمدينة؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٢٤٦؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٥) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٧٧.

(٦) **مَبْذُول:** مفعول من البَذْل، بَذَل يَبذُل بَذْلا فهو بَاذِل، والمِبْذَل: ثوب تَبتَذِلَه المرأة في بيتها، ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٧) السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٨) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٦١٥.

**بنوغَنْم:**

وينسبون إلى غَنْم بن مالك بن تيم الله النجار، ويسكنون شرقي المسجد النبوي، ولهم أطم يسمى الفُوَيْرِع، ويسمى مسجدهم مسجد المبرك؛ لأن راحلة النبي ﷺ بركت فيه[١]، ومنهم: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، الذي ضَيَّف النبي ﷺ، وشهد بدرًا والعقبة، وتوفي في أرض الروم، بالقرب من القسطنطينية[٢]، ومنهم - أيضا - زيد بن ثابت، الذي تنسب إليه الفرائض[٣]، وكان يحمل راية بني مالك بن النجار في غزوة تبوك، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ[٤].

**بنو مَازن:**

وهم من مازن بن تيم الله النجار، دارهم قبلي بئر البُصَّة، القريبة من بقيع الغرقد[٥]، وتسمى هذه الناحية اليوم ببني مازن، وابتنوا بها أطمين؛ أحدهما يقال له واسِط[٦]، ولقد رضع إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في بني مازن، أرضعته خولة بنت المنذر النجارية (أم بُرْدَة)، زوجة البراء بن أوس بن خالد بن الجَعْد المازني النجاري[٧].

**بنو دِينَار:**

وهم من ولد دينار بن تيم الله النَّجَار، ونقل السمهودي عن ابن زُبَالة قوله: "نزل بنو دينار دارهم التي خلف بُطْحان[٨] المعروفة بهم، في الجهة الغربية منه، وابتنوا بها أطمًا يقال

---

(١) الفيروزآبادي: المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، ط١، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ص ٣٢٠؛ صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص ٥١٨، ٥١٩.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٥٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٢١.

(٣) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧.

(٥) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، ص ١٥٩.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٠.

(٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، هولندة، ١٣٠٠هـ = ١٨٨٣م، ج ٢، ص ٩٥.

(٨) **بُطْحان:** وادي بالمدينة، حكاه ياقوت بالضم ثم السكون (بُطْحان)، وحكاه صاحب معجم ما استعجم: (بَطِحَان) بفتح أوله وكسر ثانيه، ورد في المغانم المطابة (بُطْحان) بالضم ثم السكون، البكري: معجم ما استعجم، ج ١، ص ٢٥٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٦.

له المنيف، عند مسجدهم المسمى بمسجد بني دينار"، وكان لهم بئر يسمى البُقْع[١]، ومنهم عُلَيَّة بن عمرو بن زيد بن واهب الشاعر، والنُعمَان بن عبد بن عمرو بن مسعود (ت: ٣هـ)، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد[٢].

**بنو عَدِي:**

وينتسبون إلى عدي بن تيم الله النجار بن ثعلبة، وكانت دارهم غربي المسجد النبوي، بالقرب من دار بني حُدَيْلَة، في قول السمهودي[٣]، وكان لهم أطمان بالمدينة؛ أحدهما: أطم (العُرْيَان)، وكان في صقع القبلة، وهو لآل النَّضْر رهط أنس بن مالك[٤] خادم الرسول ﷺ، والأطم الآخر يسمى (الزَاهِرِيَة)، نسبة لامرأة سكنته[٥].

وكان منهم بطن صغير هم بنو مِلْحَان، واسم مِلْحَان: مالك بن خالد بن دينار بن حرام بن النجار، كان بدريًّا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا. ومنهم أنس بن النضر بن ضمضم، من شهداء أحد[٦]. وأبو أنس بن صرمة النجاري، وكان شاعرًا جاهليًّا[٧].

## بطون بني عَوْف

وهم من عوف بن الخزرج، وخرج منه ثلاثة بطون ذات أهمية كبرى.

**بنو سالم:**

ونزل بنو سالم بن عوف الدار التي يقال لها دار بني سالم، وهي على طرف الحرة الغربية[٨]، غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رَانُونَاء[٩]، وذلك يعني أن منازلهم

(١) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٦١.
(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٤.
(٣) نفسه، ج ١، ص ٣٨٠.
(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٣؛ الفيروزآبادي: المصدر السابق، ص ٢٦٠.
(٥) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٠.
(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥١.
(٧) ابن دريد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٤.
(٨) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٨.
(٩) **رَانُونَاء:** على وزن عاشوراء، وادٍ يصب في بطحان؛ ياقوت، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

هي الحرة التي تلي جنوبي وغربي قلعة قباء[١]، وصلى رسول الله ﷺ في مسجدهم أول جمعة صلاها بالمدينة[٢].

ويتفرع منهم بطن صغير هو بنو العجلان، وابتنوا آطامًا؛ منها أطم الشَّمَّاخ، كان خارجًا عن بيوت بني سالم من جهة القبلة، وكان لبني أمية بن زيد بن سالم، بناه سالم وغنم ابنا عوف بن الخزرج[٣]، ومنها - أيضًا - المزدلف، وهو أطم لعِتْبَان بن مالك بن العجلان السالمي، الذي كان يؤم بني سالم بعد الإسلام[٤]، وقيل كان لمالك بن العجلان قاتل الفِطْيُّون[٥]، وأطم القواقل، وكان لبني سالم بن عوف الخزرجي[٦]، طرف بيوت بني سالم من ناحية العُصَبَة[٧].

**بنو غَنْم:**

وهم ولد غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهو قَوْقَل، وكانوا بجوار بني سالم بن عوف، على طرف الحرة الغربية، بوادي رَانُونَاء، ومنهم بيوت صغيرة، كبني مرضخة وبني ثعلبة[٨]، ومنهم عبادة بن الصامت، شهد العقبة، وكان نقيبًا على القواقل، واستعمله الرسول ﷺ على بعض الصدقات، وكان من الخمسة الذين جمعوا القرآن في حياة الرسول ﷺ [٩].

---

(١) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٥٧.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩.

(٣) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٢٠٨.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٥١؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٢١٣.

(٥) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٥.

(٦) الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص ٣٥٢.

(٧) **العُصَبَة:** بوزن هُمَزَة، موضع بقباء، ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٨.

(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٩) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٨، ١٥٩.

**بنو الحُبْلَى:**

وينسبون إلى غنم بن عوف بن الخزرج، الذي ولد سالما، وهو الحُبْلَى، وكانت دارهم بين قباء ودار بني الحارث بن الخزرج، شرقي وادي بُطحان وصُعَيب[١]؛ كذا قال السمهودي[٢]، أما رواية ابن حزم فقال فيها: "كانت دارهم بين دار بني النجار ودار بني ساعدة[٣]"، وابتنوا آطامًا منها: مُزَاحِم، وكان لعبد الله بن أُبَيّ بن سلول[٤].

## بطون بني جُشَم

كان لجُشَم بن الخزرج ولدان؛ أحدهما: غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وخرج منه بطنان عظيمان: بنو بَيَاضَة وبنو زُرَيْق، وهما أخوان، والآخر: هو تزيد بن جشم بن الخزرج، ومنه بطنان بنو سَلِمَة - بكسر اللام - وبنو أُدَيّ، وهو بطن صغير[٥].

**بنو بَيَاضَة:**

وهم من ولد عامر بن زريق، ومَاوِيَة بنت ثَعْلَبَة[٦]، وكان العدد والعدة في بني بياضة، وقد أورد السمهودي: "أن دار بني بياضة كانت شامي دار بني سالم بن عوف، وقبلي دار بني مازن"[٧]، في حين أن ابن زُبَالة قال: "إن منازلهم تمتد إلى منزل بني ساعدة"، وقد بنوا بدورهم الآطام[٨].

---

(١) **صُعَيب:** موضع في ديار بني الحارث، البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٨٣٤.

(٢) وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٤) **مزاحم:** بالضم والحاء مهلمة، اسم أطم بالمدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٢٠.

(٥) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤٢٥.

(٦) نفسه، ج ١، ص ٤٢١.

(٧) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.

(٨) نفسه.

وروى ابن زُبَالة: "أنه كان بدارهم تسعة عشر أطمًا"، وأنه كان لبني أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطمًا، منها أطم أَسْوَد وكان في الحَرَّة، وأطم عقرب في الحرة الغربية، وأطم سويد وكان لغنام بن أوس بن عمرو بن بياضة(١)، ومنها أطم اللواء. ومن ديار بني بياضة نقيع الخَطِمات(٢)، وهَزْم النبيت - جبل بالمدينة - من حرتهم(٣).

ولقد كان منزل بني بياضة منزلًا أيضًا لكثير من فروع بني غَضْب، كبني زُرَيْق، وبني عذارة، وكانت بني عذارة أقل بطون مالك بن غضب عددًا، وكانوا ذوي شراسة وشِدَّة بأس، فقتلوا قتيلًا من بني مالك بن غضب، ورفض أهل القتيل الدية، فخرجوا من دار بني بياضة ونزلوا على بني عمرو بن عوف من الأوس، فحالفوهم وصاهروهم، وامتنعوا من بني بياضة(٤).

ومن فروع بني غضب بن جشم أيضًا بنو الأجدع وبنو اللين، اللذان كان بينهما شجار في الجاهلية، فتداعوا لدخول حديقة والاقتتال فيها، فاقتتلوا حتى لم تعد فيهم عين تَطْرُف، وانقرض بنو أجدع، أما بنو اللين فبقي منهم رجلان ثم انقرضا بعد ذلك، وكان بنو مالك بن غضْب - سوى بني زريق - ألف مقاتل في الجاهلية(٥)، ومن بني بياضة زيد ابن الدُّثِنَة البياضي(٦)، شهد بدرًا وأحدًا، وصلبته قريش بالتنعيم(٧)، ومنهم زياد بن لبيد البياضي عامل رسول الله ﷺ باليمن، والذي توفي أول خلافة معاوية(٨).

---

(١) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ١٩١.

(٢) **نَقِيع:** النقيع في اللغة، القاع، الموضع الذي يستنقع فيه الماء، والبئر الكثيرة الماء، والخَطِمات، أو الخضمات، والخضيمة: النبات الناعم الأخضر الغض، أو الأرض الناعمة النبات، وهو واد على الطريق إلى مكة؛ الخليل ابن أحمد: معجم العين، ج ١، ص ١٧٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٣) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٥٨.

(٤) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٥) نفسه.

(٦) **الدُّثِنَة:** من قولهم: دثَّن الطائر، إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٦١.

(٧) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤٢١.

(٨) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣١٩.

**بنو زُرَيْق:**

وهم ولد زريق بن عامر بن زريق، ومُرَّة بنت مالك بن الأوس، وكانت منازلهم مع بني بياضة، وكان العدد والعُدَّة في بني زريق، وقد دخل بنو زريق في صراع مع بني حبيب – جزء من بياضة – لقتيل قتلوه، فخافوا على أنفسهم بعد تحالف بني حبيب وبني بياضة، فخرجوا من دار بني بياضة ونزلوا عند بئر ذَرْوَان[١]، وبنوا أطمين؛ أحدهما يقال له الرَيَّان، ثم عرضوا الصلح ودفع الدية، وكانت الدية ما يعرف باسم زُقَاق الدية؛ حيث تنازلوا عن جزء من ديارهم[٢] لبني حبيب، وكان لهم أطم يسمى العِقيان، كان لبني عمرو بن عامر بن زريق[٣].

**بنو سَلِمَة:**

وهم أبناء تزيد بن جشم، ونزل بنو سلمة ما بين مسجد القبلتين في وادي العقيق إلى المُذَاد[٤] أطم بني حرام، غربي مسجد الفتح، وكانت دارهم هذه تسمى خَرْبَى[٥]، وسماها رسول الله ﷺ (طُلْحَة) في قول ابن زبالة، وقيل سماها (صَالِحَة) [٦]. وكثرت بطون بني سَلِمَة كبني سواد بن غنم الذين بنوا أطمًا يقال له الأغلب، وأطمًا يسمى خَيْط، في شرقي مسجد القبلتين، وآخر يسمى منيع، وكان لأبي كعب بن سواد[٧].

ومن بطون بني سلمة – أيضًا – بنو عبيد بن غنم الذين نزلوا عند مسجد الخربة إلى الجبل الذي يقال له: جبل الدويخل، وابتنوا أطم الأشنف، وقد كان للبراء بن معرور بن عبيد، وأطم الأطول عند قبلة مسجد الخربة[٨].

---

(١) **ذَرْوَان:** بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو بئر لبني زريق؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥.

(٢) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ١٤٦.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٧١.

(٤) **المُذَاد:** واد بين سَلْع وخندق المدينة، ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٨٨.

(٥) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦١.

(٦) البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٠٢، ١٢٠٣.

(٧) الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص ٣٩٦.

(٨) نفسه، ص ١٣٧؛ السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٢، ٣٦٣.

ونزل بنو حرام بن كعب بن سلمة، عند مسجد بني حرام الذي بالقاع[١]، عند بئر غذق[٢]، وبنوا من الآطام: مأسدة، وهو أطم سميت به الناحية، وجَاعِس وقد ابتناه بنو حرام بن كعب بن غنم بن سلمة، في السهل الذي بين الأرض التي لجابر بن عتيك، والعين التي أنشأها معاوية بن أبي سفيان فيما بعد، وكان لعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام[٣].

وبنى بنو مِرى بن كعب بن سَلِمَة - وهم حلفاء بني حرام - أطمًا يقال له: أخنس، وكان لبني حرام منزل آخر بشِعْب سَلْع[٤].

ولقد أطلق على بني سَلِمَة بعد الإسلام سَلِمَة بَدْر؛ لكثرة من شهدها منهم، فقد كان عدد من شهدها منهم ثلاثة وأربعين نفسًا[٥]، ومن بني سلمة الحباب بن المنذر بن الجموح، شهد بدرًا، وسُمِّي: (ذا الرَّأْي)؛ لمشورته يوم بدر ويوم خيبر على رسول الله ﷺ بشأن نزول جيش المسلمين[٦].

ومنهم: أبو قتادة بن ربعي، فارس رسول الله ﷺ، وبشر بن البراء بن معرور، سيد بني سلمة، الذي سَوَّدَه رسول الله ﷺ بقوله: "بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء[٧]"، ومنهم أيضًا جميلة بنت قطبة بن يزيد، وكانت زوجة أنس بن مالك[٨].

---

(١) **القاع:** هو ما انبسط من السهلة، وقاع المدينة هي موضع أطم البلويين؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٨.

(٢) نفسه.

(٣) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٨٦.

(٤) **السلع:** شق في الجبل كهيئة الصدع، وهو جبل متصل بسوق المدينة؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج ١، ص ٣٣٥؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٧٤٧.

(٥) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٦٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ١، ص ٦٦٥.

(٦) ابن هشام: سيرة النبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ج٢، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٧) ابن دريد، المصدر السابق، الصفحة نفسها؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٠.

(٨) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٣١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص ٣٦٠.

## بطون بني كَعْب

أنجب كعب بن الخزرج ساعدةً، فأنجب ساعدةُ الخزرج، فولد الخزرج بن ساعدة ثَعْلَبَةً، وطريفًا، وعَمْرًا، وهم أهم بطون بني ساعدة.

**بنو ساعدة:**

نزل بنو ساعدة متفرقين في أربعة منازل، فنزلت بنو عمرو وبنو ثعلبة دار بني ساعدة، شرقي سوق المدينة مما يلي الشام، وورد عند ياقوت: "أن قرية بني ساعدة عند بئر بُضَاعة[١]، والبئر وسط بيوتهم[٢]"، وقال ابن زبالة: "إن لهم بها أطمًا يقال له مُعْرِض"[٣]، وهو آخر أطم بني بالمدينة، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يبنونه، فاستأذنوه في إتمامه، فأذن لهم فيه[٤].

ونزلت بنو قَشَبة - واسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة - قريبًا من بني حُديلة، وابتنوا أطمًا عند خوخة عمرو بن أمية الضمري[٥]، ونزلت بنو خُزيْمَة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة - وهم رهط سعد بن عبادة - الدار التي يقال لها: جِرَار سعد[٦]، وابتنوا أطمًا يقال له وَاسِط، ونزلت بنو وَقْش وبنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، الدار التي بين الحماضة - حائط لبني بياضة - وجرار سعد[٧].

---

(١) **بُضَاعَة:** بضم أوله وبالعين المهملة، وهي موضع دار لبني ساعدة، وقد ورد عن أبي سعيد الخدري أنه: "قيل لرسول الله ﷺ: أنتوضأ من بئر بضاعة وهي يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن، فقال: رسول الله ﷺ: الماء طهور لا ينجسه شيء"؛ معجم البلدان: ج ١، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) **مُعْرِض:** بضم أوَّله وإسكان ثانيه، وهو أطم لبني ساعدة، وبها بئر مليحة الماء، البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٤٣.

(٤) السمهودي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٤.

(٥) عمرو بن أمية بن خويلد الضمري، من بني ضمرة بن كنانة، وكان من مُهاجِرَة الحبشة؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤، ص ١٨١.

(٦) **جِرَار سعد:** موضع بالمدينة، كان سعد بن عبادة ينصب عليه جرار يبرد الماء لأضيافه به، وكان به أطم دُليم (دليم: جد سعد)، ويقع في شرقي المدينة مما يلي الشام، عند بئر بضاعة والبئر وسط بيوتهم؛ البكري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٤؛ ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٧.

(٧) السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٦.

ومن بني ساعدة، المنذر بن عمرو بن حُبَيْش بن ساعدة، شهد بدرًا، والعقبة، وكان نقيبًا، وقتل يوم بئر مَعُونَة، وكان أميرهم[١]، ومنهم مسلمة بن مُخَلَّد الساعدي، ولَّاه معاوية بن أبي سفيان مصر وإفريقية سنة خمسين، وهو أول من جُمِع له ولاية مصر والمغرب[٢].

## بطون بني الحَارِث

وهم أبناء الحارث بن الخزرج بن حارثة، ونزل بنو الحارث دارهم المعروفة بهم بالعوالي، أي: شرقي وادي بُطْحان وتربة صُعَيب[٣][٤]، وابتنوا أطمًا كان لبني امرئ القيس بن مالك الأغر، ونزل جشم وزيد ابنا الحارث بن الخزرج - وهما التوأم - فسكنا السُّنْح على ميل من مسجد رسول الله ﷺ، وابتنوا أطمًا يقال له: السُّنْح، وبه سميت الناحية[٤]، وقد تفرع من الحارث بن الخزرج بطنان كبيران هما:

### بنو خُدَارَة:

وهم بنو خُدْارَة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج، وسكنوا الدار التي يقال لها جِرَار سعد، مما يلي سوق المدينة، أي أن منازلهم كانت إلى الشمال من المسجد النبوي[٥]، ومنهم: أبو مسعود عُقبة بن خُدْارَة، عقبي، ولَّاه عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكوفة حين صار إلى صفين[٦].

### بنو خُدْرة[٧]:

وهم بنو الأَبْجَر، خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، وسكنوا دارهم المعروفة

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٢٣١.

(٣) **صُعَيب:** موضع في ديار بلحارث بن الخزرج؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ٨٣٤.

(٤) الفيروزبادي: المغانم المطابة، ص ١٨٧؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٦.

(٥) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٦٢.

(٦) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٠؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٧) **خُدْرة:** بضم الخاء المعجمة، وسكون الدال؛ ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، ص ٩١.

ببني خُدْرة[١]، جنوب شرقي المسجد النبوي وجنوبي البقيع الواقع شرقي المسجد[٢]، وابتنوا أطمًا يقال له: الأجرد، وهو الأطم الذي يقال لبئره البُضَّة، وكان لمالك بن سنان[٣]؛ ومنهم: أبو سعيد الخدريّ، الذي حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة وعلمًا جَمًّا[٤].

***

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٧.

(٢) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٦٢.

(٣) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٨.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٦١.

## ٢- تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام

كانت الأَزْد مجموعة ضخمة من القبائل، وقد عدها النسابون جُرثُومَة من جراثيم قحطان، وقد ذكروا أنها كانت سبعًا وعشرين قبيلة[١]، منها الأنصار - الأوس والخزرج- ولقد عاشت الأزد في أرض سبأ باليمن، التي قال عنها الله تبارك وتعالى: "بَلْدَةٌ طَيِبَةٌ"[٢]، وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: "إنها كانت أخصب البلاد وأطيبها"، وقيل: إنها لم تكن سبخة[٣].

وكان عمرو مُزَيْقِيَاء بن عامر ماء السماء، كبير الأزد اليمنية، ومن ساداتها، وله من القصور والأموال ما لم يكن لأحد، فرأى أخوه عمران - وكان كاهنًا - أن قومه سيمزقون وتخرب بلادهم فذكره لعمرو، ثم سجعت له طريفة الكاهنة سجعًا دل على انهيار سد مأرب، وأخبرته أن علامة ذلك أن يرى جرذانًا ضخمة تحفر في أساسات السد[٤]، فاعتزم عمرو مُزَيْقِيَاء على النُّقلة من اليمن، فكاد لقومه بأن أمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فحلف ألا يقيم ببلد لطم فيه، وعرض أمواله للبيع، فقال أشراف اليمن: "اغتنموا غضبة عمرو"، فاشتروا منه أمواله، فخرج في ولده وولد ولده، وقالت الأزد: "لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه"[٥].

---

(١) أبو عمر يوسف بن عبد البر: الإنباه على قبائل الرواة، مكتبة القدسي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م، ص ١٠٦.

(٢) سبأ: ١٥.

(٣) شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ(تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، ج١٤، ص ٢٨٤؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٠٩.

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٤٠٩.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٢٨.

وتفرق الأزد في البلاد، فنزل آل جَفْنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يَثْرِب، ونزلت أزد السَّراةِ السراة، ونزلت أزد عُمان عمان، ثم أرسل الله سيل العَرِم على السد فهدمه(١).

ويتضح لنا من قصة ابن هشام أن نزوح الأوس والخزرج إلى يثرب حدث قبل سيل العرم(٢)، ولكن صاحب الأغاني يعتقد أن خروج الأزد من اليمن حدث بعد سيل العرم؛ فقد قال: "لما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب، وهم الأزد، قام رائدهم فعدد خصائص كل منطقة، ثم قال: من كان يريد الراسخات في الوحل، والمُطْعِمَات في المَحْل فليلحق بيثرب ذات النخل، فكان الذين سكنوها الأوس والخزرج"(٣). على أن إسرائيل ولفنسون يعرض لنا رأي الخضري بك، مرجحًا الرأي الأخير لسببين؛ أحدهما: أنه يستحيل أن يترك المرء دياره لمجرد خبر، خصوصًا أنه سيسير إلى بلد لا علم له بها. والآخر: أن القصة التي ذكرت في سورة سبأ يفهم منها أن سيل العرم أصابهم، وبدل من شكل أرضهم وهم يقيمون بها(٤).

وهناك أسباب أخرى - بجانب تَهَدُّم السد - أدت إلى هجرة هذه القبائل إلى شمال الجزيرة العربية، منها: ضعف الحكومة في اليمن، وظهور المشاحنات بين القبائل، والتدخلات الخارجية في شئون اليمن، واضطراب الأمن، ومما زاد الأمر سوءًا تحول الطرق التجارية(٥) بعد سيطرة الرومان على البحر الأحمر(٦).

---

(١) **العَرِم:** المطر الشديد، وقيل: السد، وقيل: جُرَذٌ أعمى؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ١، ص ٤٨٩.

(٢) سيرة النبي: ج ١، ص ٢٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، مطبعة التقدم، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ج١٩، ص٩٥.

(٤) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٢، ٥٣؛ أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٦٠.

(٥) أحمد أمين سليم: تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م، ص ١٦٧.

(٦) أكرم ضياء العمري: المجتمع النبوي في عهد النبوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ص ٦٠.

ويشكل تاريخ انتقال الأوس والخزرج إلى يثرب موضع خلاف هو الآخر، فيحدد البعض - وأهمهم (سديو) - تاريخ هجرتهم بعام (٣٠٠م)، ثم سيطرتهم على يثرب في عام (٤٩٢م) (١)، ويوافق الأستاذ أحمد أمين سديو في ذلك(٢)، وهناك رأي آخر للدكتور/ حسن إبراهيم حسن، يقول: إن السد انهار سنة (٥٦٥م)، في حين أن جواد علي يرى أن انهيار السد وهجرة الأوس والخزرج ليثرب كان عام (٥٢٠م) (٣).

ويمكننا القول إن السد لم يتهدم مرة واحدة، وإنما صارع عوامل الزمن والطبيعة، وإهمال الإنسان طيلة الفترة التي كان قائمًا فيها، ولا ريب أنه تأثر بتلك التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها اليمن قديمًا(٤)، ومع أن الغموض يكتنف أسباب هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب؛ إلا أن هذا لا ينفي حقيقة هجرتهم، والتي نميل إلى إرجاع زمنها إلى الفترة الواقعة ما بين القرنين الرابع والخامس للميلاد(٥).

### حال يثرب قبل هجرة الأوس والخزرج:

تقع يثرب شمالي شبه جزيرة العرب، على بعد ثلاثمائة ميل - نحو ٥٠٠كم - شمالي مكة، عند تلاقي دائرة عرض (٢٥°) شمالًا، وخط طول (٤٠°) شرقًا(٦)، ويصل ارتفاعها عن سطح البحر إلى ٦٣٩ مترًا(٧)، وهي مدينة قديمة ذكرتها الكتابات البابلية القديمة، التي ترجع إلى القرن السادس قبل ميلاد السيد المسيح، كما وردت في كتابات بطليموس الجغرافي، وفي الكتابات المعينية القديمة(٨)، ولقد اختلف المؤرخون في سبب تسميتها

(١) تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م، ص ٥١.

(٢) نقلًا عن أحمد علي المجدوب: المستوطنات اليهودية في عهد الرسول ﷺ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ص ٥٣.

(٣) نفسه.

(٤) يقول سديو، ص ٣٦: إن أول تصدع للسد كان سنة ١٢٠م.

(٥) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٥٧.

(٦) عمر رضا كحالة: جغرافية جزيرة العرب، دمشق، سوريا، ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م، ص ١٣٩.

(٧) Crichton, Andrew. History of Arabia. Vol.1, Edinburg (1833).p.86.

(٨) أحمد أمين سليم: تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، ص ١٦٣.

يَثْرِب؛ هل كان ذلك نسبة إلى أحد أحفاد سام بن نوح، أو اشتق الاسم من الثَرَب بمعنى الفساد، أو التثريب، أي: المؤاخذة بالذنب[١].

ويجد الدارس لطبوغرافية يثرب أن الغالب على أرضها السِّبَاخ[٢]، ويعرف الجزء الجنوبي منها باسم العالية، وهو أكثر ارتفاعًا، في حين أن الجزء الشمالي يعرف بالسافلة[٣].

ومن أبرز جبال يثرب جبل أحد في شمالها، وهو أقرب الجبال إليها، وجبل سلع – بفتح أوله وسكون ثانيه – وهو جبل عظيم شامخ في شمالها أيضًا، في حين يقع جبل عَيْر في جنوبها الغربي، وهو على شكل جبلين أحمرين متقاربين ببطن وادي العقيق[٤].

كما يحيط بيثرب من جهتي الشرق والغرب تكوينات بركانية عظيمة، عرفت هذه التكوينات باسم لابَتي المدينة أو حَرَّتيها، مكونة ما يعرف باسم "حرار المدينة"[٥]، وأهمها: حرة واقم، وهي الشرقية، سميت برجلٍ من العماليق يدعى واقم، وهي أكثر خصوبة وعمرانًا، وحرة الوبرة، وتفصل بين المدينة ووادي العقيق على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الغرب، وهي قليلة العمران، وحرة قباء في جنوبي المدينة[٦].

وللمدينة عدة أودية، تجري خلالها السيول والأمطار، من أشهرها: وادي العقيق غربي المدينة، وبه عيون ونخل، ووادي بطحان الذي يمر بوسط المدينة، متجهًا ناحية الشمال، وبها أيضًا وادي مذينب ووادي مهزور، في الجنوب الشرقي من المدينة، ويحصران بينهما

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٤٣٠.

(٢) أبو الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، الجمهورية الفرنسيه، ١٢٦٦هـ = ١٨٥٠م، ص٨٧.

(٣) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٩.

(٤) **عَيْر:** الوتد، كل ناتئ في وسطه مستوى، جبلين يقال لأحدهما: عير الوارد، والآخر: عير الصادر بالمدينة، وهو موضع جبل بالحجاز؛ ياقوت، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٧١.

(٥) **الحِرار:** هي أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار، وتجمع على حِرار وحَرَّات، ومنها حرة بني بياضة، وحرة الحوض، وحرة واقم، وحرة قباء؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٤٣٥ وما بعدها؛ ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٥، ٢٥٠.

(٦) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ١١٢.

عوالي المدينة التي تتمتع بخصوبة التربة، ووفرة مياه الآبار القريبة من السطح[١]، وبها كذلك وادي قناة الذي يأتي من ناحية الطائف ويمتد حتى يصل إلى قبور شهداء أحد، وفيه زرع وحرث، ويصب مياهه في منطقة الغابة؛ وبصفة عامة تبدو أودية المدينة منحدرة من الجنوب إلى الشمال، ويسود المدينة مناخ صحراوي متطرف، إلا أن جو المدينة ألطف من جو مكة بصفة عامة[٢].

وتعتبر الزراعة التي قامت في المدينة، هي العامل المسيطر على الحياة فيها، فتم حفر الكثير من الآبار السطحية والعميقة؛ لري المحاصيل المختلفة؛ حيث اشتهرت المدينة بزراعة النخيل، ثم تمت زراعة البقول والحبوب وبعض الخضراوات والفواكه تحت النخيل[٣].

كما كان ليثرب أهمية خاصة؛ لأنها كانت واحة خصيبة، ومركزًا زراعيًّا مهمًّا في قلب الصحراء، وكانت تسيطر على الطريق التجاري بين اليمن والشام؛ مما أدى إلى تطور التجارة الخارجية بها، ولقد كانت التجارة الداخلية فيها نشطة ومزدهرة[٤]، ويدل على ذلك ما ذكر من كثرة أسواقها؛ فقد كان بالمدينة في الجاهلية سوق زُبالة، وسوق بالجسر في بني قينقاع، وسوق مُزاحم، وأسواق أخرى فصَّلها السمهودي في وفاء الوفا[٥].

أما الصناعة فقد سيطر عليها يهود المدينة، ولم يعمل بها سوى العبيد المشترين من خارج المدينة؛ لأنَفَة عرب المدينة عن العمل بها[٦].

أما عن سكان المدينة، فقيل إن أول من سكنها العماليق، ثم نزلها اليهود في القرن الثاني الميلادي، على أثر اضطهاد الرومان لهم في فلسطين، ثم نزلها الأوس والخزرج من قبائل

(١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٣٩.
(٢) أحمد إبراهيم أبو الفضل: دراسات في العصر الجاهلي، القاهرة، مصر، ١٣٥٨هـ = ١٩٦٠م، ص ٩.
(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٢؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٣١٤.
(٤) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٢٥.
(٥) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٨٢.
(٦) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ٥٣.

الأزد اليمنية، والتي هاجرت بعد انهيار سد مأرب[١]؛ على أن هناك أسبابًا حدثت وأدت إلى هجرة اليهود إلى يثرب، فعندما هاجمت الدولة الرومانية فلسطين، وقوضت أركان الدولة اليهودية، هاجر اليهود إلى شمال الحجاز وإلى يثرب واستقروا بها[٢]، ومع مرور الوقت والاستقرار انقسم يهود الحجاز إلى قبائل وعشائر وبطون، منهم: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قَينُقَاع، وبنو عكرمة، وبنو زيد، وغيرهم، وقد أدى التنافس بين سادات اليهود إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية، أدت إلى تفرقهم ووهن قواهم[٣].

ولمَّا نزل الأوس والخزرج المدينة، تفرقوا في عاليتها وسافلتها، وسكن الخزرج المنطقة الوسطى والشمالية، وهي سافلة المدينة، وليس وراءهم شيء في الغرب إلا حرة الوبرة[٤]، وهي من المناطق الأقل خصبًا[٥]، ومنهم من نزل مع يهود بني إسرائيل في قراهم، ومنهم من نزل وحْدَه، ويعرض ابن زبالة للأمر، فيقول: "أقامت الأوس والخزرج بالمدينة، ووجدوا الأموال والآطام والنخيل في أيدي اليهود، ووجدوا العدد والقوة معهم"[٦].

ويحدد لنا السمهودي قوة اليهود قائلا: "كانوا نيفًا[٧] على عشرين قبيلة"[٨]، ولقد عاش الأوس والخزرج في منازلهم بالمدينة في جهد وضيق في المعاش، وليس للرجل منهم إلا الأغداق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من الأرض الموات، والأموال لليهود[٩].

---

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ٥٤؛ أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، (ب ـ ت)، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٥٥.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص ٥٥.

(٥) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٥٩.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٢٧.

(٧) **النَّيف:** يقول المبرد: النيف من واحد إلى ثلاث، أو كل ما بين عقدين، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٨) وفاء الوفا: ج ١، ص ٣٢٧.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٩، ص ٩٦.

وقد قنع الأوس والخزرج - أول الأمر - بأن سمح لهم اليهود بالإقامة في منطقة المدينة، ثم سألوا اليهود أن يعقدوا بينهم جوارًا وحلفًا يأمن به بعضهم من بعض، ويمتنعون به ممن سواهم، واستمروا على ذلك زمنًا طويلًا(١).

والواقع أن اليهود قد رحبوا بهذا الحلف؛ لكي يضمنوا سيادتهم على المدينة، وليستخدموهم في رد أي عدوان خارجي قد تتعرض له المدينة، وللاستفادة من خبراتهم في المجال الزراعي(٢)، وقد أجمعت المصادر على أن الأوس والخزرج لم يدفعوا إتاوة لأحدٍ قط(٣)؛ إلا أن ياقوت انفرد بذكر أن الأوس والخزرج كانوا يؤدون خراجًا لليهود(٤).

وقد أتاح هذا الحلف للعرب أن يثبتوا مركزهم، وأن يعزُّوا ويكثروا (٥)، ويوسِّعوا دائرة أعمالهم، فازدادت ثروتهم، وكثر عددهم، وأخذوا في تنظيم أنفسهم، وتنبهت اليهود إلى ما طرأ على حلفائهم، وأدركوا أن الحلف يسير في مصلحة جيرانهم، فقطعوا الحلف(٦)، ولما كان اليهود أكثر عددًا وعدة، فإن الأوس والخزرج أقاموا في منازلهم خائفين أن تجليهم اليهود، حتى ظهر من بينهم مالك بن العَجْلان، أخو بني سالم بن عَوْف بن الخزرج، وسوَّدَهُ الحَيَّان - الأوس والخزرج - ولم يكن أمامهم إلا البحث عن حليف خارجي يساعدهم إن حاول اليهود طردهم من المدينة(٧).

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٤١١.

(٢) نورة عبد الملك آل الشيخ: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام، جدة، السعودية، (ب - ت)، رسالة ماجستير منشورة، ص ٣٤.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ١٣٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٨٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، ص ٢٦.

(٦) أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص ٥٦.

(٧) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٢٨؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٤١١.

ولقد كانت سيطرة اليهود على المدينة في أوجها في ذلك الوقت، يدلنا على ذلك قصة ملك اليهود الفِطْيَوْن[١] – وهو اسم عبراني[٢] – وكان من بني ثعلبة[٣]، وهو الذي شرط على أهل يثرب ألا تدخل عروس على زوجها حتى تدخل عليه أولًا[٤]، فتزوجت أخت مالك بن العجلان الخزرجي، وكان سيد قومه، فأرسل الفِطْيَوْن رسولًا في ذلك، فاحتال مالك بن العجلان حتى قتل الفطيون[٥] – على أن هذه الرواية لم يذكرها ابن هشام والواقدي وصاحب الأغاني[٦]؛ مما يدل على أن في سندها ضعفًا – ثم فر مالك بن العجلان إلى غسان؛ حيث استعان بأبي جبيلة الغساني، واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم أحد بني غَضْب بن جشم، وهو يومئذٍ ملك غسان[٧]، وقيل: إنه لم يكن ملكًا، وإنما كان عظيمًا عند ملك غسان[٨].

والذي يظهر أن الأوس والخزرج كانوا حلفاء مقربين لدى ملوك غسان، ويحظون بمنزلة عظيمة؛ ولذا فقد أمدوهم بقوة استطاعوا بها كسر شوكة اليهود والقضاء على وجوههم ورؤسائهم، فعز بذلك الأوس والخزرج بيثرب[٩]، وذكر السمهودي: "أن

(١) **الفِطْيَوْن:** واسمه عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن الحارث بن عمرو، وكان ملك اليهود؛ ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤٣٦.

(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ص ٤٣٦.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص٥٢٠.

(٤) وهذه القصة لا يؤيد الباحث حدوثها؛ لأن الغيرة والأنفة كانت من أهم أسباب حروب عرب المدينة، فكيف يقبل العربي حدوث ذلك، كما أن هذه الرواية وردت في مراجع متأخرة، كما أن ولفنسون ينكر هذه القصه إنكارًا تامًّا، وجاء الأمر مفصلًا في كتابه؛ إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٦ – ٥٩.

(٥) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٦.

(٦) إسرائيل ولفنسون، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٧) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٨) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ١، ص ٥١٨.

(٩) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٥٨.

مالك بن العجلان لما قتل الفِطْيَوْن، قصد اليمن إلى تُبَّع الأصغر، فشكا إليه ما كان الفِطْيَوْن يفعله، فأقسم تُبَّع أن يسير إلى المدينة ويذل من بها من اليهود، وفعل ذلك"[١].

ويرى بعض الباحثين أن تطلُّع الأوس والخزرج إلى مشاركة اليهود في حكم المدينة، ومحاولة السيطرة عليها، إنما كان جزءًا من الصراع الدولي القائم بين المسيحية البيزنطية واليهود، وهناك بعض المراجع تؤيد أن بيزنطة هي التي دفعت الغساسنة إلى التدخل في شئون يثرب ونُصرة طرف على الآخر[٢].

وأرى أن النزاع لا يعدو أن يكون نزاعًا محليًّا، قام بسبب نزعة السيطرة التي نشأت بين العشائر والبطون اليثربية على الموارد والأرض الخصبة، وسهولة الحصول على المياه، والسيطرة على حكم المدينة، وعزت الأوس والخزرج وتفرقوا في عالية المدينة وسافلتها، يتبوءون منها حيث شاءوا، وذلت اليهود وقل عددهم، وعلت قدم أبناء قيلة عليهم[٣]، ولجأ كل قوم من اليهود إلى بطن من الأوس والخزرج يحتمي به، ويتحالف معه[٤]، وانتهى عهد الصراع بين العرب واليهود، وبدأ الصراع بين العرب بعضهم بعضًا.

***

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٣٢.

(٢) أحمد أمين سليم: تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، ص ١٦٨؛ عبد الله عبد العزيز إدريس، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٧٠.

## ٣- صراع الأوس والخزرج وحروبهما

لبث الأوس والخزرج بعد تغلبهم على اليهود زمنًا في حال اتفاق واجتماع، ولكن سرعان ما بدأت المصالح الشخصية الضيقة للبطون تطغى على السطح، وبدأ الصراع بين القبيلتين، خاصة وأن يهود المدينة كانوا يعدون كل وئام بين القبيلتين مُوَجَّهًا إلى كبريائهم في الدس والوقيعة، وكان أول اختلاف وحرب وقع بين الفريقين هو يوم الصُّفَيْنة[١] – موضع بالمدينة بين بني سالم وقباء[٢] – وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ولقد أدت هذه الحروب بين الفريقين إلى عدم استتباب الأمن داخل المدينة، وغالبًا ما كانت هذه الحروب تقوم لأسباب ليست ذات قيمة[٣].

**حرب سُمَير:**

وكان سببها أن رجلاً من بني ثعلبة يدعى كعب بن العجلان، نزل على مالك بن العجلان السالمي، فحالفه وأقام معه، فقتله رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير بن يزيد[٤]، فأرسل مالك بن العجلان يطلب قاتله من بني عمرو بن عوف، فعرضوا الدية فقبلها، وكانت دية الحليف فيهم نصف دية الصريح، فأبى مالك إلا أخذ الدية كاملة، فامتنعوا من ذلك، فاختاروا عمرو بن امرئ القيس – جد عبد الله بن رواحة، أحد بني الحارث بن الخزرج – حكمًا بينهم، فقضى بدية الحليف[٥]، فأبى مالك أن يرضى بذلك، فنشب القتال بينهم، وشاركت فيه سائر بطون الأوس والخزرج، وكان

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٦.
(٢) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٢٢٠.
(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ١٣٩.
(٤) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، بيروت، لبنان، (ب.ت)، ص ٦٣.
(٥) نفسه، ص ٦٥.

الظفر للأوس[١]، ثم جعلوا المنذر بن حرام - جد حسان بن ثابت - حكمًا بينهما، فحكم بدية الصريح، ثم يعودون إلى سُنَّتِهِم القديمة، فرضوا بذلك، وأخذوا الدية[٢].

### حرب كعب بن عمرو المازني:

ووقعت بين بني جَحْجَبا من الأوس وبني مازن بن النجار من الخزرج، وكان سببها قتل كعب بن عمرو الخزرجي على يد أُحَيْحَة بن الجُلاح سيد بني جَحْجَبا، والتقوا بالرُّحابَة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وانهزمت بنو جَحْجَبا ومن معهم[٣].

### يوم السَّرارة[٤]:

كانت بين بني عمرو بن عوف من الأوس وبني الحارث من الخزرج، وكان سببها قتل رجل من بني عمرو على يد رجل من بني الحارث، فقتل بنو عمرو القاتل، ثم تداعى الفريقان للقتال، فالتقوا بالسرارة، وعلى الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول، وعلى الأوس حضير بن سماك، وظل القتال أربعة أيام، وانهزمت الأوس[٥].

### حرب الحُصَين بن الأسلت:

وقامت بين بني مازن بن النجار، وبني وائل بن زيد من الأوس، وكانت بسبب قتل الحصين بن الأسلت الوائلي رجلًا من بني مازن، واقتتلوا قتالًا شديدًا، انهزمت فيها الأوس[٦].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، ج ١، ص ٥١٩.

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ص ٣٩١.

(٣) **الرُّحابَة:** بضم أوله، وهو موقع أطم بالمدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢.

(٤) **السَّرارة:** موضع قريب من المدينة؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٧٣١.

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢٢، ٥٢٣.

(٦) نفسه، ج١، ص ٥٢٤، ٥٢٥.

### حرب ربيع الظَّفَرِى:

كانت بين بني ظَفَر من الأوس وبني مالك بن النجار من الخزرج، وكان قتالًا شديدًا، وانهزمت بنو مالك بن النجار(١).

### يوم فارع:

وقامت بسبب قتل أحد حلفاء الأوس من قضاعة، فنشب القتال بين بني النجار وبين رهط سعد بن معاذ من الأوس، وكان القتال عند حصن فارع، وانتهى القتال بالصلح بعد أن تحمل عامر بن الإطنابة - زعيم الخزرج - دية القتيل(٢).

### حرب حَاطِب:

وكان بينها وبين حرب سمير نحو مائة عام(٣)، وقامت هذه الحرب لقيام حاطب بن الحارث الأوسي بقتل أحد جيران الخزرج من اليهود، فخرج إليه يزيد بن الحارث الخزرجي - الذي يقال له ابن فسحم، وفسحم أُمُّه - ليلًا في نفر من الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج(٤)، وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، وعلى الأوس حُضير بن سماك الأشهلي، وكان الظفر يومئذ للخزرج(٥).

وكان هذا اليوم من أشهر أيامهم، وكان بعده عدة وقائع، كلها من حرب حاطب مثل: يوم الربيع، وانتصر فيه الخزرج، ويوم البقيع(٦) - بقيع الغرقد - وكان النصر فيها للأوس على الخزرج(٧)، ثم كانت حرب الفجار الأول - وليس بفجار كنانة وقيس -

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٢٦، ٥٢٧.
(٢) نفسه، ج ١، ص ٥٢٨، ٥٣٠.
(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٢٠١.
(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣١.
(٥) نفسه.
(٦) **بقيع الغرقد:** البقيع في اللغة: الموضع الذي فيه أُروم الشجر من ضروب شتى، والغرقد: كبار العوسج، وهو موضع بالمدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٣؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٦١.
(٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣١.

وعلى الخزرج عبد الله بن أبيّ بن سلول وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت، وانتصرت الخزرج[١].

ويوم معبس ومضرس[٢]، وهما جداران، وظلوا يقتتلون أيامًا، حتى انهزمت الأوس، على أن هذا اليوم كان له نتائج مهمة؛ فقد قرر بنو عمرو بن عوف، وبنو أوس مناة الأوسيين موادعة الخزرج وعدم الاشتراك في الحروب بعد ذلك، وامتنع بنو عبد الأشهل وبنو ظفر وغيرهم من الأوس ورفضوا الصلح، وأرادوا القتال فَهُزِمُوا، بعد أن أغارت عليهم بنو سَلِمَة، وجرح سعد بن معاذ الأشهلي، فأجاره عمرو بن الجموح؛ مما اضطر الأوس للذهاب إلى مكة طلبًا للحلف[٣].

### يوم الفجار الثاني:

وكان هذا اليوم مقدمة ليوم بُعَاث، وكان سببه أن الأوس قد طلبت من قريظة والنضير أن يحالفوهم على الخزرج، فبلغ ذلك الخزرج فأرسلوا إليهم يؤذنونهم بالحرب، فأعلنت اليهود رفضها لهذا الحلف، ودفعوا بعض الرَّهْن للخزرج وفاء لهم، وكانوا أربعين غلامًا من قريظة والنضير، وقيل: إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه من بني بياضة: إن أباكم أنزلكم منزلة سوء، وأقسم أن ينزلهم منازل قريظة والنضير، وهي خير بقاع المدينة وأخصبها[٤]؛ فقد كان لهم غزار المياه وكرام النخل[٥]، فقتل الرَّهْن بعد أن رفض اليهود ترك دورهم؛ على أن عبد الله بن أبي بن سلول رفض الاشتراك في هذا البغي، ولم يقتل الرَّهن الذين احتفظ بهم في حصنه مُزَاحِم، ثم كان يوم بُعَاث[٦].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٢) **مضرس:** الأسد يمضغ لحم فريسته ولا يبتلعه، وقيل: نوع من الوشي فيه صور؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٧ ص١٩.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٥.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣١.

(٥) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٦.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٦، ٥٣٧.

### يوم بُعَاث:

حدث قبل الإسلام بخمسة أعوام على الأصح[١]، وكان سببه أن النصر في الحروب المتقدمة كان في أكثرها للخزرج على الأوس[٢]، فتحالفت الأوس مع بني قريظة وبني النضير، وجددوا العهود، كما تحالفوا مع قبيلة مزينة؛ أما حلفاء الخزرج فكانوا بعض بطون غطفان وجُهَيْنَة من قضاعة[٣]، وكان على الأوس حضير الكتائب بن سماك - والد أسيد بن حضير - وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، وتخلف عبد الله بن أبيّ بن سلول فيمن تبعه من الخزرج[٤]، وقد انهزم الأوس في بداية القتال، ولكن سرعان ما تداركوا الأمر، وحولوا الهزيمة إلى نصر ساحق، وانهزمت الخزرج ووضع فيهم السلاح، ولم ينقذهم إلا صياح صائح: "يا معشر الأوس أحسنوا ولا تُهْلِكُوا إخوانكم؛ فجوارهم خير من جوار الثعالب" - يقصد اليهود - فتناهت الأوس، وكفت عن سلبهم، وسلبتهم قريظة والنضير[٥].

وقد اكتفى الأوس بالقضاء على روح التسلط في الخزرج، وأجار سعد بن معاذ الأشهلي أموال بني سَلِمَة ونخيلهم ودورهم؛ جزاء بيوم معبس ومضرس، وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج[٦].

ولقد كان ليوم بُعاث نتائج ضخمة على قبيلة الخزرج، وعلى المدينة كلها، كان أهمها: ضعف روح العدوان والحقد في نفوس البطون البريئة، فكانوا كلما همَّ أحدهم أن يصب زيتًا على نار العداوة الكامنة في النفوس، هبَّ الزعماء ذوو النفوذ من الطرفين لكف يده؛

---

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٨.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٧٥.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٣٨.

(٥) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، ص ٧٧.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٨؛ السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٧.

حتى لا تسل السيوف من أغمادها، حتى أخذ الناس ينصرفون لأعمالهم، ويتذوقون لذة الراحة وهناءة العيش وصفاء البال، على حذر من أن تقوم الحروب مرة أخرى(١).

حتى إذا آذن فجر الإسلام بالانبلاج، كانت الثارات الدموية بين القبيلتين قد تعددت إلى درجة بعيدة، حتى لقد صار الفرد لا يكاد يجرؤ على مغادرة أطمه المُحَصَّن دون أن يعرض نفسه لأشد الأخطار(٢).

وشجعت هزيمة الخزرج - وهي القبيلة الأكثر عددًا في يثرب - على قبول الخزرجيين للإسلام بعد ذلك؛ فقد أدى كثرة حديث اليهود عن تقارب زمان نبي يتحالفون معه ثم يقتلون الأوس والخزرج قتل عَادٍ وإرَم(٣)؛ سببًا لتهافتهم على الإسلام، ولقد كان أفضل تعليق على يوم بعاث هو قول السيدة عائشة: "كان يوم بُعَاث يومًا قدَّمه الله لرسوله ﷺ، فقدم رسول الله وقد افترق مَلَؤُهم وقتلت سَرَواتُهم(٤) وجُرحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام"(٥).

ويتضح مما سبق أن قبيلة الخزرج التي تنحدر من قبائل الأزد اليمنية، ترجع في نسبها إلى الخزرج بن حارثة، وأن الأوس والخزرج ينسبان إلى أمهما، فيعرفان بابنيْ قَيْلَة.

وقد تفرعت من الخزرج بن حارثة خمسة فروع كبرى، ضمت جميع البطون الخزرجية، وأن سيل العرم الذي هدم سد مأرب، كان سببًا في هجرة الأوس والخزرج والاستقرار بيثرب، فقام الصراع مع يهود يثرب، والذي انتهى بانتصار الأوس والخزرج؛ ولكن سرعان ما دب النزاع بينهما، والذي أدى - في النهاية - إلى انهيار قوة الفريقين، وتمهيد الطريق لعلو كعب الإسلام، وانتشاره سريعًا بين سكان المدينة.

---

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٦٩، ٧٠.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٠.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) **سرواتهم:** بفتح المهملة والراء والواو، أي خيارهم ، والسروات جمع سراة، والسراة جمع سري وهو الشريف؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٨، ص ٢٧٢.

(٥) البخاري: صحيح البخاري، طبعة السلطان عبد الحميد خان الثاني، ١٢١٣هـ = ١٧٩٨م، ج٥، ص ٣٠ (حديث رقم: ٣٧٧٧)؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٨؛ الصالحي: سبل الهدى، ج ٣، ص ٢٦٥.